المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي العام. المفهوم والاصطلاح.

مفهوم الأدب الشعبي العام:

قبل الحديث عن مفهوم الأدب الشعبي العام، تجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا المصطلح مركّب من ألفاظ ثلاث: الأدب، والشعبي، والعام، وعليه يتوجّب علينا التوّقف عند هذه الألفاظ لتحديد المصطلحات التي كوّنت هذا النوع من التعبير الأدبي، والوقوف على معناها، بحيث يحدّد لها مفهوما دقيقا يفهمه جميع الناس على وجه واحد، وليُجنّبهم ما قد يحدث من خلط؛ وهذا الممصطلح؛ خاصةً، وأنّ كثيرًا من المصطلحات كالأدب العامي، والأدب الشعبي، والفلكلور، شاع استخدامها على أنّها مترادفات تحيل على شيء واحد: الأدب الشعبي، على الرغم من أنّه لكلّ مُصطلح خصائصه، ومجالاته، الأمر الذي جعله مُبهمًا غير واضح المعالم، مما أدّى إلى خلط في تحديد مفهومها، وتعارض تفسيراتها، واستخداماتها.

1 – تعريف كلمة الأدب:

يُعدّ الأدب وسيلة من وسائل التعبير الجميل عن الحياة، وعن مكنون الحسّ، وسيلته الكلمة، لذلك فإنّه هناك من يقول عنه بأنّه "فن الكلمة" المكتوبة منه، والمنطوقة أيضًا، على أن يكون جميلاً، وعليه بإمكاننا القول بأنّ النص الأدبي: هو ذلك النص الذي يتّسم بالشروط الفنية الإبداعية التي تميّزه عن غيره من النصوص العادية، وهذا شرط ضروري.حيث يعرّف **محمد سعيدي** الأدب في قوله: (هو ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى، من شعر، أو نثر، صادر عن أديب، كاتب، أو شاعر، وخاضع لمنطق لغوي فنّي معيّن).

2 – تعريف كلمة الشعبي:

جرى الاصطلاح بإطلاق صفة الشعبي على الوضيع، أو الرخيص، أو ما دون المستوى الرفيع، فكرة شعبي مشوبة بمطاوعة الأهواء، والنزوات لا سلامة فيها، ولا سداد، حسب رأي **محمود تيمور**، وكثيرًا ما كانت تُستخدم هذه اللفظة بالمعنى السلبي، كأنما تعني الهبوط، والانحدار، والجهل، والتخلف، لا غير على الرغم من أنّ لفظة الشعبي هذه المنسوبة إلى الشعب، والذي هو مجموعة بشرية مُنتمية إلى رقعة جغرافية واحدة/ أرض واحدة، بلد واحد، وأصل واحد، تحتكم إلى قانون واحد، لديها تاريخ ممتد منذ القدم، ممّا يُبيّن بأنّ لفظة الشعبية تعني أيضًا الخلود، والتداول، والانتشار، وعليه فإنّه يمكننا القول بأنّ لفظة الشعبية لا تدلّ دائما على المعنى السلبي، وإنّما تعدّته إلى الإيجابي أيضًا، ولعلّ هذا ما أشار إليه **محمد سعيدي** في قوله: إنّ (الشعبي هو ما اتّصل اتّصالاً وثيقًا بالشعب، إمّا في شكله، وإمّا في مضمونه، وأيّ ممارسة اتّصفت بالشعبية، تعني أنّها من إنتاج الشعب، أو أنّها ملك له)

3 – تعريف الأدب العامي:

تُمثّل اللغة هي وسيلة تواصل بين الناس، واللغة كما يقول **فندريس**:" تعد بمثابة انعكاس للضمير البشري، وتعرفنا بصورة النفس التي تحمل"، ولكلّ أمّة من الأمم نوعين من اللغة: لغة الكلام، ولغة الكتاب، وتكون هذه الأخيرة عادة هي اللغة الأصل لاستفادتها من

خاصيّة التدوين، والكتابة، تخضع لقواعد وقوانين تحتكم إليها، وبالعودة إلى معنى لفظة عاميّ نجدها تخصّ العوام، وما هو دارج بينهم من لغة، حيث يستخدمون لغة خاصة بهم دون غيرهم من باقي الناس، وعادةً، ما يكون الأدب العامي بلغة الكلام المتحرّرة كليةً من قواعد الإعراب، ولهذا أطلق عليه **صفي الدين الحلي** تسمية (الأدب العاطل)، نظرًا إلى استعماله للغة الكلام المرسلة، باعتبارها لغة المعاملات المعيشية اليومية، لا يستطيع أن يخرج عن نطاقها المحلي ممّا يحصر دائرة اهتماماته، ليتناول بذلك موضوعات الساعة الراهنة ذات الاهتمام المباشر، ولهذا يكاد يكون أدبا موسميا لا يعيش إلا في مدى حياة المشكلة التي يعالجها فإذا ما انتهت هذه المشكلة أو تناساها الناس ضاع منها أدبها، أو فقد جانبا كبيرا من قيمته.

4 – تعريف الأدب الشعبي:

يصعب وضع مفهوم دقيق للأدب الشعبي خاصّةً؛ وأنّ هناك الكثير من الناس من يخلط بين كل من الأدب الشعبي، والأدب العامّي إذ نجدهم يستعملون كلا المصطلحين، وكأنّهما وجهان لعملة واحدة، ومفهوم واحد، ليؤدّيا بذلك معنىً واحدًا، على الرغم من أنّ كل واحد منهما له معناه الخاص، وقد سعى الباحثون، والدارسون المتخصصون في هذا المجال إلى الفصل في هذ القضية، ووضع تعريف جامع يبيّن فيه مجال كلّ منهما على حدى، وقد ذهب **عبد الحميد يونس** إلى القول بأنّ: (الأدب الشعبي، وبعبارة أخرى هو أدب العاديين أدلّ على بيئته من أدب الخواص، وأشباه الخواص، لذلك أخذت الدراسات الأدبية كغيرها من الدراسات تُساير التقدّم العلمي فأرسلت أنوارها الكاشفة في كلّ مكان، واحتفلت بأدب المغمورين احتفالها بالمشهورين، فاهتمت بما يصدر عن العامّة اهتمامها بما يصدر عن الخاصّة، واعترفت بأنّ للأميين أدبًا جديرًا بأن يُكشف عنه، وتُدرّس روائعه)، هذا الاهتمام انجرّت عنه إنجازات هامّة في مجال الإبداع الشعبي، وما أنتجته قريحة الشعب، أو بالأحرى قريحةُ فردٍ من ذلك الشعب، ليذوب بعد ذلك في الذات الجماعية/ الشعبية، هذه الذات الذي ينتمي إليها هو الآخر، والذي سعى جاهدًا إلى تصوير همومها وآلامها في قالب شعبي جماعي يتماشى، ونظرتها، ومستواها الفكري، والثقافي، واللغوي، وموقفها تجاه المجتمع، إنتاج يتماشى مع كلّ أفراد الشعب، وفي كل مكان، وزمان، وقد سعى **أحمد صالح رشدي** إلى وضع تعريف موجز، وجامع للأدب الشعبي، ذاكرًا فيه أهّم خصائصه، وأشكاله التعبيرية المختلفة: حيث يقول في ذلك: (هو مجمل الفنون القولية التلقائية، وهذه الفنون على رأس قائمة فروع التراث، ونقلت هذه الفنون بلهجة دارجة من جيل إلى جيل وبشكل شفهي، وهي تعبير عن تفاعل الانسان مع الطبيعة، ومع الانسان، والأدب الشعبي بهذا المفهوم عبارة عن تتويج لخبرات الانسان ومعارفه، وأحاسيسه، ومشاعره، وتشتمل هذه الفنون على الحكاية الشعبية، المثل الشعبي، الأغنية الشعبية، النادرة، والنكت الشعبية، نداءات الباعة، الألغاز الشعبية، الأشعار الشعبية).

وعليه يمكننا القول بأنّ الخاصية الجوهرية لهذا الأدب: اللغة العامية، أمّا بالنسبة لموضوعه، فهو يتناول كل المواضيع التي لها اتّصال مباشر بالشعب، الشكل متعدّد، العفوية، الوسائل المتاحة، الانتشار والتداول. الخلود أو التراثية، لهذا عُدّ بمثابة ذاكرة الأمة، ومخزونها الذي يتجدّد بتجدّد الفكر الانساني، وهذا ما يؤكدّه **جيوفاني كانوفا** في حديثه قائلاً عنه بأنّه: (هو الأدب الشائع في الطبقات التي تُسمى عادةً بشعب، أو العامّة، وله ميزات خاصة به في بعض الأحيان، ومشابهات مع الأدب الكلاسيكي، ويستعمل اللهجة المحليّة، أو لغة شبه فصيحة سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية)